الاقليم

يراد بالاقليم في عُرف متقدمي الجغرافيين منطقةٌ من الارض يكتنفها خطان مؤازيان لخط الاستوآء وكانوا يقسمون المسافة التي بين خط الاستوآء والقطب الى ثلاثين اقليماً تُعرَف بالاقاليم الفلكية او الرياضية رتبوها باعتبار طول النهار في اوان المنقلَب الصيفي وهو الاوان الذي يبلغ النهار فيهِ غاية طولهِ . وذلك ان النهار يكون عند خط الاستوآء ١٢ ساعة ثم يزداد فيما يليهِ في الاوان المذكور حتى يبلغ اطولهُ عند الدائرة القطبية ٢٤ ساعة ويبلغ عند القطب ستة اشهر فقسموا المسافة الاولى الى اربعة وعشرين اقليماً يزيد نهار كل واحدٍ منها عن الذي قبلهُ نصف ساعة وجعلوا الباقي وهو ما ورآء الدائرة المذكورة الى القطب ستة اقاليم يزيد نهار الواحد منها عن الذي يليهِ شهراً[1] . ثم قسموا كل واحدٍ من هذه الاقاليم الى عشرة اجزآء متساوية من الغرب الى الشرق فكانوا يعينون عرض البلد وطولهُ بالاقاليم واجزآئها

ومعلومٌ ان هذه الاقاليم تتفاوت في الحرّ والبرد وسائر الاحوال الطبيعية تبعاً لبعدها عن خط الاستوآء الا انهُ يعرض لكثيرٍ من بلدان الاقليم الواحد من الاحوال الخاصة ما يخرجهُ عن مماثلة سائر الاقليم بحيث

---

(١) المشهور في كتب العرب سبعة اقاليم تبتدئ من حيث يكون طول النهار الاطول ١٣ ساعة وتنتهي حيث يكون طولهُ ١٦ ساعة فيكون ذلك من عند ١٦° و٤٠َ الى ٥٠° من درج العرض على التقريب

لا تنطبق طبيعة الاقليم على العرض دائماً ولذلك عدل المتأخرون عن هذا التقسيم وفصلوا بين الاقليم الرياضي والاقليم الطبيعي فجعلوا تعيين مواقع البلدان بخطوط العرض والطول وخصّوا الاقليم بالحالة التي يكون عليها كل بلدٍ من الحرارة والرطوبة ومزاج الهوآء وحركة الرياح وغير ذلك من الاحوال الجوية التي تؤثر في طبائع الحيوان والنبات مما نشأ عن مجموعهِ ما يسمى بعلم الاقاليم

وبيان ذلك ان الارض لو كانت كرةً منقادة السطح وكانت جميع جواهرها متماثلة ومساحة البرّ والبحر متساويةً على جميع سطحها لكانت الاقاليم لا تتفاوت الا بالمقدار الواصل اليها من حرارة الشمس بالقياس الى مواقعها من خط الاستوآء وهذا المقدار من الحرارة يتفاوت باعتبارين احدهما عدد الاشعة الواقعة على كل اقليم والثاني مقدار ميلها على سطحهِ ولا يخفى ان ما يقع من الاشعة على منطقةٍ ذات سعةٍ مفروضة كسطح درجةٍ من الارض مثلاً يكون على نسبة نظير الجيب لعرض تلك المنطقة وكذلك انحراف الاشعة يزيد وينقص بالضرورة على هذه النسبة عينها وعليهِ فنقصان معدّل الحرارة من خط الاستوآء الى القطبين ينبغي ان يكون مناسباً لمربع نظائر جيوب العرض . الا ان هناك اسباباً موضعية يتكيف بها مقدار الحرارة في كل واحدٍ من العروض منها الوضع الافقي وهو مقدار ارتفاع الارض عن مستوى سطح البحر فانها كلما ارتفعت ازداد البرد وهبطت درجة الحرارة هبوطاً سريعاً كما يدل على ذلك سقوط الثلج على قمم الجبال العالية في جميع العروض . وقد حسبوا ان الحرارة تنخفض عند خط

الاستوآء درجة في كل ٢٢٠ متراً وفي المنطقـة المعتدلة درجةً في كل ١٧٥ متراً في الصيف و ١٠٠ متر في الشتـآء وفي نواحي القطبين درجة في كل ١٠٠ متر. ومن تلك الاسباب مجاورة البحار والانهار العظيمة لما ان المآء من اكثر الاجسام اختزاناً للحرارة وابطأها اطلاقاً لها ولذلك كانت حرارة البحر قلما تتغير وكانت مجاورتهُ مما يلطّف الحرارة الزائدة ويقلل التفـاوت فيها بين فصلٍ وآخر من فصول السنة وبالتـالي يرفع معدّل حرارة الشتآء ويخفض معدل حرارة الصيف . وهذا هو السبب في اختلاف الاقليم بين الاراضي الساحلية والاراضي البرّية بحيث انهُ مع استوآء معدّل الحرارة تكون الاقاليم البحرية ذات شتآءٍ معتدل وصيفٍ محتمَل وبعكسها الاقاليم البرّية فان شتآءها يكون قارصاً وصيفها محرقاً . ومنها مجاورة الجبال فانهـا تصدّ عن الاراضي التي تليها بعض الرياح المتسلطة في سائر الاقاليم فتختلف لذلك فيها درجة الحرّ والبرد واذا كانت ذات صخورٍ عارية عكست اليها ما يقع عليها من اشعة الشمس ولا سيما اذا كانت صخورها بيضآء . وهناك امرٌ آخر تختلف بهِ حالة الاقليم في الجبل نفسهِ وذلك ان الجبـال تكون في الغالب هرَمية الشكل فاذا كان سنَد الجبل اي جانبهُ مائلاً على الافق ٤٥° مثلاً نحو الجنوب وكان ميل الشمس كذلك وقعت اشعتها عليه عموداً وبخلاف ذلك السنَد المتجه منهُ نحو الشمال فان اشعة الشمس يكون ميلها عليهِ ٩٠° اي تكون مؤازيةً لسطحهِ فيكون احد جانبيهِ في منتهى الحرّ والآخر في منتهى البرد ولذلك يُرَى بعض جبال الألب مكسوًّا من الجانب الواحد بالثلوج الخالدة ومن الجانب الآخر بالخضرة الرائعة

ومن المؤثرات في طبيعة الاقليم ما تشتمل عليهِ الارض من انواع الاتربة والصخور باعتبار ما فيها من الميل الى تشرُّب الحرارة والرطوبة ومقدار ما تبثّ منهما في انحآء الجوّ . واجزآء الارض تتفاوت في ذلك كثيراً فان الاراضي الصلصالية والملحية اشدّ امتصاصاً للحرارة واقلّ اطلاقاً لها من الاراضي الرملية الجافّة والاراضي الصخرية والبراح اقلّ تبخيراً للرطوبة من الاراضي المستنقعة . ويلحق بذلك ما يتأتى من مثلهِ عن تباين حالة الجوّ نفسه ومقدار ما يمسكهُ وما يطلقهُ من الحرارة وقد تبين بالمراقبة ان نفوذ اشعة الشمس في جوّ الارض على العموم اسهل من نفوذ الاشعة المنعكسة اليهِ عن سطح الارض او عن الطبقات السافلة من الهوآء ويترتب على هذا انهُ كلما كان الجوّ اكثف كان مقدار الحرارة الوارد على الارض من الشمس يزيد على المقدار الذي ينطلق عنها بالاشعاع وبالتالي كانت درجة الحرارة اعلى . وهذه الخاصيّة في ضبط الحرارة يرجع معظمها الى الابخرة المآئية المنتشرة في الهوآء وهي السبب في اشتداد الحرّ في الاقاليم الرطبة وعكسه في الاقاليم الجافّة

ومن ذلك الرياح المتسلطة في كل ناحيةٍ من نواحي الارض فانها من اعظم العوامل المكيفة لطبيعة الاقليم لانها دائمة التصرف بين ابعد جهات الارض واشدّها اختلافاً تحمل خصائص بعض الاقاليم الى بعض من الحرّ والرطوبة وغيرهما وتأثيرها يختلف تبعاً لما تمرّ عليهِ من البحار والجبال والصحارى وغيرها وتبعاً لجهة مسيرها وتعرُّض الارض لهابّها وعلى الجملة فكل ريح تهبّ على المنطقة المعتدلة من ناحية القطب تكون باردة وكل ريحٍ تهبّ عليها من

ناحية الاستوآء تكون حارّة والرياح الواردة عن البحار تكون باردةً مشحونة برطوبة ملحية وهي تخالف طبيعة الرياح البرّية فتكون اسخن منها في الشتآء وابرد في الصيف ولذلك تغير دائماً في درجة الحرارة الموضعية. وبهذا الاعتبار تقسم الاقاليم على العموم الى قسمين احدهما الاقاليم المطّردة وهي البحرية فانها قلما تتغير احوالها الجوية لاختزان المياه للحرارة على ما تقدم والآخر الاقاليم المتقلبة وهي البرّية فان درجة الحرارة تتفاوت فيها تفاوتاً بعيداً بين شهرٍ وشهر وبين يومٍ ويوم وساعة واخرى من اليوم وكلما اوغلت في البعد عن البحر كان هذا التفاوت اعظم

وبقي من مكيّفات الاقليم عمارة البلاد بالحرث والغرس لازالة ما يكون في الارض من الرطوبة العفنية ان كانت من الاراضي المستنقعة او تبريد هوآئها ان كانت قاحلةً ذات هوآءٍ محرق فان مَشقّ السكة في الاولى يفتح منافذ لأشعة الشمس والريح ويبدد ما يتجمع هناك من الطحالب وبقايا النبات الداثر وتوفُّر النبات في الثانية يفيد الهوآء برداً ورطوبةً بما يتصاعد عنهُ من الابخرة المآئية ويكون سبباً في اجتلاب السحب والامطار . وقد شهدت المراقبات المتوالية ان بعض البلاد قد تبدل الاقليم فيها بمثل الاسباب المذكورة فانحطت درجة الحرارة او ارتفعت تبعاً لزيادة العمارة ونقصانها وربما فسد الهوآء في بعضها كما قررهُ بعضهم عن مدينة كروتونا بايطاليا بالمقابلة بين حالها في القديم وحالها اليوم فانها بعد ان كانت في الزمن الماضي حافلةً بالسكان اصبح اليوم جانبٌ كبيرٌ منها غير صالحٍ للسكنى لما طرأ عليهِ من اهمال امر المياه المستنقعة وما نشأ عنها من الوبالة والفساد

وهذا الاختلاف في الاقليم يؤدّي الى اختلافٍ في توزع الحيوان والنبات على وجه الارض فان من الحيوانات ولا سيما الثديية التي لا تستطيع المهاجرة من اقليمٍ الى آخر كما تفعل الطير ما لا يقيم في الاقاليم المتناهية البرد او الحرّ فاذا استقرينا مواطن هذه الحيوانات وجدنا انها لا تتعدى الاقاليم المعتدلة وهي كما تقدم لا تتواطأ مع خطوط العرض ولكنها مناطق مستقلة تابعة لحالة الاقليم في خاصة نفسهِ باعتبار الامور العارضة المتقدم ذكرها . وكذلك يقال في النبات ولا سيما الشجر فان منهُ ما لا يتحمل برد بعض الاقاليم بخلاف النبات السنوي فانهُ في مدة الشتآء وخصوصاً القطانيّ منهُ تكون حياتهُ كامنة فلا يذرّ الا صيفاً ولذلك يمكن ان ينبت في بعض ألبلاد كنروج على ٧٠° من العرض

والاقليم كما يؤثر في الحياة الحيوانية والنباتية يؤثر في الانسان على الخصوص في كلٍّ من احوالهِ الطبيعية والعقلية والادبية لما بين هذه الاحوال والبنية من الاتصال . واظهر ما يكون ذلك اذا قابلت بين سكان اقليمين متضادّين فانك بينا ترى الانسان في المنطقة الحارّة يكاد يتجرّد من لباسهِ ولا يحتاج الا الى غذآء يسير يحصّلهُ بادنى تعب ترى الانسان في البلاد الباردة يكثر من الملابس والدُّثُر ويُضطرّ الى عملٍ ناصب وكدّ متواصل لتحصيل ما يقيمهُ من القوت والكنّ واللباس ولذلك لا يجد الاول ما يدفعهُ الى الاجتهاد في الكسب فضلاً عما يلحق بنيتهُ من الاسترخآء الناشئ عن شدة الحرّ مما يدعوهُ الى طلب الراحة والسكون فيقضي دهرهُ قاعداً عن السعي والعمل وهذه الحال تسوقهُ ولا جرم الى ان يكون قليل الاهتمام

بالعواقب متفرغاً للاسترسال الى الشهوات والملاذّ الحسية. وبعكسهِ الثاني فانهُ يجد من نفسهِ ما يستحثّهُ على الكدّ والتصرف فلا يزال دائباً مجدًّا في التحصيل حتى صار ذلك طبيعةً لهُ وكان كثير التفكر في غدهِ مالكاً من نفسهِ في الصبر على الجهد ومواصلة التعب ما لا يملكهُ ذاك ونشأت بين افرادهِ المنافسات في الغنى ورفاهية العيش فكان اكثر تطالّهِ الى ما ورآء الملاذّ الحسية من المطالب الشاقّة والغايات البعيدة . ويتصل بذلك ما عليهِ هذان الطرفان من الامور العقلية فانك ترى سكان البلاد الحارّة تغلب عليهم الصوَر الخيالية ويخلدون الى الاوهام والاباطيل وسكان البلاد الباردة يكثرون من التطلع الى المعقولات والبحث عن كنه طبائع الاشيآء . على ان ذلك كلهُ امرٌ اغلبيٌّ لمعارضة الاقليم بالسلالة والارث ونوع التربيـة والحالة الاجتماعية فلا يطّرد صدقهُ على جميع سكان الاقليم على السوآء

ثم ان البلاد الحارّة يغلب في اهلها المزاج الصفراوي اللمفاوي وتكون دورة الدم فيهم اقوى منها في سكان البلاد المعتدلة الا ان عمل التنفس يكون اضعف فيقلّ مقدار الاكسيجين المُدخَل الى الرئتين ومقدار الحامض الكربونيك المُخرَج منهما الى حدٍّ لا يكون في شيءٍ من سائر الاقاليم ولذلك تكون آلات التنفس فيهم عرضةً لأشدّ العوارض الناشئة عن الانقلاب الفجآئي في درجة الحرارة . ويكثر فيهم الونآء والاسترخآء لان اقل حركةٍ يتحركونها ولو في اطراف النهار حين تكون الحرارة على اضعف درجاتها تكفي لأن يتحلب عنهـا عرَقٌ غزير ولذلك يُضطرّون الى الاطّلآء بالزيوت والادهان لتثبيط ابخرة الجسم عن الخروج . ولادمان الحرّ عليهم

يكون الجهاز العصبي فيهم دائم التهيج حتى تضعف حركة الفكر كما تضعف حركة البدن ويغلب على الانسان الكسل والقعود وهذا التهيج في العصب هو السبب فيما يُرَى من الشراسة في اخلاقهم وما عندهم من تقلب الاهوآء وعدم الثبات في الاعمال والخروج عن الاعتدال في طلب الملذّات والميل الى اللهو والطرب والحركات العنيفة

واما سكان الاقاليم الباردة فالغالب فيهم المزاج الدموي والدورة فيهم ضعيفة لكن اعضآء التنفس قوية في الغاية وتوليد الحرارة في ابدانهم شديد الا ان حسهم ضعيف وجهازهم العصبي في منتهى الخمود . على ان هذه الاقاليم على الجملة اسلم واصحّ من الاقاليم الحارّة واعتيادها اسهل كثيراً بما يتسنى للانسان من وسائط توقي البرد بخلاف الحرّ الشديد فانهُ مما لا سبيل الى التفادي من تأثيره

ولا ريب ان الاقاليم المعتدلة هي افضل البلاد للسكنى لانها بمعزلٍ عن هذين الطرفين واهلها على الجملة معتدلو الامزجة اصحآء الابدان وحالة الاقليم فيها تعين على اتمام جميع الافعال العضوية والعقلية من غير ان يقف في طريقها ما يستوقفها عن غايتها او يعدل بها عن جادّتها وما زالت هذه الاقاليم منذ ثلاثة آلاف سنة موطن المدنية ومهد العلوم والفنون والصنائع وعنها صدر كل ما دُوّن في تاريخ الانسان من عظائم الاعمال وبدائع الاختراع والاكتشاف